

وريات تأملية : الشيخ العلامة البيهاني شاعراً وأديباً ومفكراً

أبو بكر العدني بن علي المشهور

المقدمة :

الحمد لله مجدد المعاني بإعادة ذكريات الصالحين الحاملين شرف المعاني،
والصلاة والسلام على رسولنا النبي الخاتم الجامع، وعلى آله وصحبه.
وبعد: فإن شيخنا العلامة محمد بن سالم البيهاني أحد أعلام الأمة
الفضلاء النبلاء الذين تبوأوا أعلى مقامات المعرفة العلمية العملية، واكمل
بدر تجليهم النافع في عصرهم المفعم بصنوف التعقيدات والقواطع، فكانوا أكبر
من قطاع وعائق ومانع، وانتصروا في معركتهم الشرعية والأدبية والاجتماعية
بسلّ سيوف الكتاب والسنة والذوق والأخلاق، وحسن المعاملة مع الجميع على
بساط الألفة والمحبة والوفاق.

وقد طلبت مني المشاركة بوريات تتناول الشيخ البيهاني من زاوية كونه
شاعراً وأديباً ومفكراً، فاستعنت بالله، وبدأت هذا العمل الذي أرجو أن أفي من
خلاله بشيء من حق هذا العلامة المتميز في علمه والمتفرد في وعيه، وقد عرفته
وجالسته وأخذت عنه ودرست بين يديه وحضرت العديد من مجالسه، وعرفت
جملة من تلاميذه ومجالسه فوجدته بين الأشباه والأمثال متفرداً علماً وعملاً
وحالاً وصفات، ومع هذا وذاك فهو الإنسان البسيط المتواضع المتفاهم الواعي
الذكي الأريب الحاذق الفطن الذي يضع الأشياء فيما يناسبها رغم كونه
كفيها منذ الصبا، ولكنها علة لم تفقده الأمل ولم تمنعه عن الخوض في
معركة الحياة دون كلل ولا ملل.

فخذ مني - أيها القارئ - ما تيسر، وأرجو من الله أن يتغشى الإمام البيهاني
بواسع رحمته، وأن يوفقنا من بعده لحمل راية النفع والإفادة في الشعوب.
وأنتهز فرصة الكتابة لهذه المقدمة لأضع فيها جليل ثنائي وشكري لجامعة
عدن وبالخصوص لرئيسها الموقر الأخ العزيز (د.عبد العزيز حبتور) آملاً له
التوفيق والنجاح في كافة مهماته، آمين.

نبذة عن الشيخ محمد بن سالم البيهاني

هو الشيخ العلامة محمد بن سالم بن حسين الكدادي البيهاني، ينتمي إلى قبيلة (آل الكدادي) من سلالة الأشرس بن كندة، وهي قبيلة مشهورة سكنت جنوب الجزيرة العربية، والشيخ البيهاني سُمي كذلك لسكنائه مع أهله وأبائه في مدينة بيحان، وقد برز من هذه الأسرة جملة من العلماء والصلحاء. كان ميلاده في 22 رجب 1326 هـ الموافق 20 أغسطس 1908م بمدينة بيحان (حصن هادي) مدينة القصابية، ونشأ بها حتى الخامسة من عمره، وخلالها أصيب بمرض أفقده بصره، ولكن الله عوضه بثاقب البصيرة والذكاء وسلامة الفطرة والفطنة.

تلقى مبادئ المعرفة والقرآن في بلده على يد أبيه وبعض معلمي القرية حتى إذا قوي عوده ودخل في عمر الشباب رحل مع أخويه عبد الله سالم وعبد الله بن عبد الله سالم إلى حضرموت في مرحلة كانت حضرموت مزدهرة بالعلم والعلماء، وبلغ أثر تلاميذها في الأفاق، ونزل برباط تريم في 25 ذي القعدة 1339 هـ وحل المحل الأسنى من قلوب مشايخه ومعلميه وفي مقدمتهم السيد العلامة عبد الله بن عمر الشاطري، ومكث في تريم أربع سنوات وأربعة أشهر، ثم عاد إلى بلاده.

شيوخه ومربوه

أخذ الشيخ محمد بن سالم العلم والتربية في تريم على جملة من العلماء الأفاضل ويأتي في مقدمتهم: السيد العلامة القائم على الرباط والمربي للسالكين فيه: عبد الله بن عمر الشاطري، وكان له أعظم الأثر في تربية الشيخ محمد بن سالم.

وقد حفظ الشيخ هذا الود المعنوي طيلة حياته وفيه يقول:

هو الشاطري العالم العامل الذي تعلمت من تقريره الشرح والمتنا
إذا ما بكت عيني الموع لألثماً فذلك مما كان يحشوبه الأذنا
قضى زمناً في خدمة العلم رافعاً بناء رباط لا يشابهه مبنى
وأي غريب جاءه فهو واجد به العلم والقوت الضروري والسكنى

ومن شيوخه: الشيخ سعيد بن عمر باغريب، سلمان بلغيث، والسيد محمد سالم السري، والسيد عبد الباري بن شيخ العيدروس، والسيد علوي بن عبد الرحمن

المشهور، والسيد علي بن عبد الرحمن المشهور، والسيد علوي بن عبد الله بن شهاب الدين، والشيخ عمر بن عوض حداد، وغيرهم الكثير والكثير، وقد ظلت ذكريات أيامهم الأولى في ذهنه مدى حياته، وفيها يقول:

أعز الله أيام الوصال وإذ كنا مع السادة الأشراف في بلد الغنا
تريم التي طاب الحديث بذكرها فيا حبنا الغنا ويا حبنا المغنى

الشيخ البيحاني في رحلته العلمية والعملية الطويلة

عاد الشيخ من تريم إلى بيحان، ومكث بها عامين ينثر لجلالته من فوائد العلم الذي انتفع به والذوق الذي تحلى به، ثم أراد له والده السفر إلى عدن ونزل بمدينة الشيخ عثمان، وتعرف إلى الشيخ أحمد العبادي، وكان شيخاً حاذقاً عالماً له ميل إلى التجديد، ارتبط به الشيخ عمر بن سالم، وأخذ عنه العديد من العلوم، واستفاد منه كثيراً، وتأثر بأفكار التجديدية.

وفي عدن أيضاً أخذ عن جملة من العلماء الذين كانوا يسكنون عدن أو يترددون عليها ومنهم السيد علوي بن طاهر الحداد، والسيد عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، والشيخ كامل عبد الله صلاح، والشيخ محمد عوض باوزير، والسيد محمد علي الجفري، وغيرهم.

سافر الشيخ البيحاني في عدن إلى مصر، وأخذ العلم بالأزهر الشريف من خلال منحة نالها من نادي الإصلاح العربي الإسلامي الذي كان عضواً فيه بعدن، واستمر بالأزهر حتى حصل على الشهادات الأهلية والعالمية، كما التحق بكلية الشريعة لعام واحد ثم تركها لظروف معينة، وتعرف البيحاني إلى جملة من العلماء، ونال ثقتهم، ومنهم الشيخ سيد سابق صاحب كتاب (فقه السنة)، والشيخ محمد الغزالي، وشيخ الأزهر الشيخ محمود شلتوت، والشاعر الأديب الأستاذ محمد محمود الزبيري، وتألفا وتعارفا وتعاونوا، كما رحل الشيخ البيحاني بعد ذلك إلى السودان ودرس في جامعة بخت الرضا، وتخرج منها بامتياز.

ولما عاد إلى عدن ذاع صيته بها واشتهر بخطابته وجرأته وسعة علمه ووعيه، وبارز الإمامة والخطابة بجامع الإمام العسقلاني بعدن، ووفد إليه طلبة العلم من شتى البلاد للاستفادة من علمه ودروسه.

وكان له دور بارز في الحياة الاجتماعية وخدمة الفقراء والمحتاجين ومواساتهم، وأسس في سبيل ذلك الجمعية الخيرية الإسلامية.

الشيخ العلامة البيهاني شاعراً وأديباً ومفكراً أبوبكر العدني بن علي المشهور

كما سعى في تأسيس المعهد العلمي بعدن، ورحل في سبيل جمع الأموال للإنفاق عليه إلى شتى البلاد، ومنها العربية السعودية التي ساهمت في تأسيس المعهد بفاعلية كبيرة، ورفدت المعهد بالمعلمين، وكان للمعهد دور كبير في تخريج الطلاب الناجحين النابهين.

تزوج الشيخ البيهاني مرتين، ولكنه لحكمة إلهية لم يُرزق بأولاد، وفي هذا كان يقول:

ربّ إنّي ضعفت ضعفاً كثيراً وأتاني الذي أتى زكريا
شاب رأسي ورق عظمي فهب ب لي ولداً صالحاً يكون سرّيا
يضع الساس في النجوم ويعلو بالبناء المتين فوق الثريا

الشيخ البيهاني شاعراً

الشعر موهبة، وأدواته الوفرة اللغوية والمحسنات البديعية والفظنة وعمق التجربة وحرارتها، وقد اجتمعت هذه الشروط في شاعرنا البيهاني، وأظهرت منه فحلا من فحول الشعراء في عدة أوجه، ومنها:

الشعر التاريخي التوثيقي:

للشيخ محمد بن سالم في التوثيق التاريخي بلغة الشعر العمودي الحكيمي تاريخ كامل سماه (أشعة الأنوار) مكون من مجلدين، وقد ابتدأها عام 1375هـ وهو آنذاك في بلاد الحبشة بأديس أبابا، ويمتاز شعره التاريخي بالرصانة وقوة الحبك للعبارة الشعرية، مخالفاً في ذلك نهج شعراء التعليم الذين وظفوا الشعر للمنظومات الفقهية والحديثية وغيرها.

فأشعة الأنور - منذ بدايته إلى نهايته الطويلة - يتسم بالجزالة في اللفظ والقوة في الحبك وانتظار اختيار المواضيع وعرضها، فها هو يصف شأن بروز صاحب الرسالة ﷺ فيقول¹:

لما رأى لله فساد الأرض بفعل أهلها الذي لا يرضي
مما ذكرناه من المعاصي وتفردات منهم ومآسي
أرسل أحمد النبي الهاشمي وطهر الأرض من المآثم

¹ أشعة الأنوار: 39/1.

الشيخ العلامة البيهاني شاعراً وأديباً ومفكراً أبوبكر العدني بن علي المشهور

ومن شعره الوصفي حديثه عن نفسه وما به من فقد البصر فيقول¹:

يقولون لي أعمى وما أنا بالأعمى وإنما الأعمى الذي فقد العلم
وقلبي مضىء والقلوب هي التي ترى كل شيء كيفما كانت الظلما
ومن فضل ربي أن قلبي إذا رأى رمية شيء سدد السهم في المرمى
ولا تحسبني قد فقدت بصيرتي ففي القلب نور يثقب الصخرة الصما

شعر الوصف والمديح

يعدر ديوان الشيخ محمد بن سالم المعروف بديوان العطر اليماني (بغية المقاصد من أحسن القصائد) أحد نماذج شعره المتنوع وصفاً ومدحاً، ومنها وصفه المقام النبوي في بعض المناسبات الدينية التي تقام كل عام بعدن، فهذا هو عام 1370هـ يقول:

يا ليلة ولد النبي محمد في صباحها طابت وطاب المولد
ذكرى مواليد الرجال وموتهم تبلى وذكرى أحمد تتجدد
من أجل أن الناس في ظلماتهم يتخبطون فجاء هذا المرشد

ومدح الشيخ البيهاني بعض زعماء العالم الإسلامي والعربي في سبيل إنجاح تمويل المعهد العلمي الإسلامي، كمدحه الشيخ عبد الله سالم الصباح - عاهل الكويت - عام 1376هـ ومدح جلالته الملك حسين بن طلال.

كما استخدم المدح في الشفاعة لإطلاق سراح السجناء الإمام أحمد، فيها يقول:

وليس الرجا إلا الشفاعة وهي لا تبيح حدود الله للمتلاعب
وما أنا بالآتي لإرجاع هالك ولا لبقاء الحق في يد غاصب
ولكن لتخليص الذين تسابقوا إلى الشر جهلاً أو لأقوال كاذب
فإن تعف كان العفو فضلاً ومنة والا فقد أديت والله واجبي

¹ بدیع المعاني: 16.

أسلوب شعر الرثاء

صاغ الشيخ محمد البيهاني أشعاراً كثيرة في نموذج الرثاء، ومن ذلك ما صاغه في رثاء أطفال صغار فجع بهم الناس في إصابة سيارة نسفت بالديناميت في محرم 1387هـ بجانب كلية بلقيس، فقال:

بالله ما ذنب أطفال مساكين ما ذنبهم يا رجال العلم والدين
هل يقتل الطفل مهما كان والده ورب طفل ملاك من شياطين
الشرع والعقل والقانون يمنع من هذا والسكت فاسأل أي قانون
إنها صرخة عالم مدرك حجم الخطورة التي تتلوث بها أيادي القتلة
والمجرمين، وكأنه يذكرنا بشر الإرهاب وما ينزله على الإنسانية والشعوب من
الخسارة والدمار، فاسمعه يقول:
يا فاجع الأمهات الأمنات لقد عصيت ربك عصيان الشياطين
لا يفعل المرء هذا الشيء عن عمد حتى ولو كان روسياً وصهيونياً
ولو رأى مثل هذا هتلر لأبى ضميره مثل هذا في ستالين

شعر الهجاء

ومن شعر الهجاء نجد نموذجاً يكيل فيه القذع لبعض الأعمال الصحفية التي تناولته وتناولت مواقفه الإصلاحية، منها ما يقول فيها:

حطّم الله تلكم الأقلام والأكف التي بها تترامى
جردوها على المبادئ سلاحاً يدع الدين والحياء حطاماً
فرقة ها هنا وثمة أخرى لا يباليون حشمة واحتراماً

الشعر الحماسي

وله في شعر الحماس والقضايا:

يا فلسطين يا أهم القضايا كل شيء عليكم ليس بصعب
لو صدقنا في عزمنا ومضيئنا وتركنا كلام زور وكذب
ما أتنا الشريير يحتل داراً عاش في ظلها كأضعف قلب

الشيخ البيهاني أديباً

الأدب لغة الذوق المرهف والحس الشفاف في المنصب وقد يكون الأدب تعبيراً ثنياً وقد يكون شعرياً، وقد يكون شعوراً، وقد جمع شيخنا البيهاني هذه النماذج كلها فأدبه أدب متميز سواء من حيث الشعور أم من حيث التعبير عنه ثنياً أم شعراً.

وقد وصفه الأستاذ محمد محمود الزبيري وصفاً مناسباً في مقدمته على كتاب الفتوحات الربانية للشيخ البيهاني، فهو يقول: «عهدته في مصر رائداً من رواد العلم البارزين، وسمعته هناك في الأندية والمحافل متكلماً لبقاً وخطيباً فصيحاً ومحاضراً بارعاً، وأعتقد أنه كان من أرفع المثقفين من شباب العرب، وهو شاب عالم مستنير عب من معين الثقافة، وعرف القديم والحديث، واستفاد من ألوان التيارات الفكرية المختلفة».

ولا شك أن عالماً كالشيخ البيهاني سيكون أنموذجاً في الأدب الرصين المتناثر كالورد والأسل في مؤلفاته وخطبه ومحاضراته، الأدب المشع بنورانية العلم الشرعي القائم على الورع والصدق والإخلاص وسلامة المقصد وحسن النية، وها هو يكتب مقالاً أدبياً في جريدة الجنوب كمثل فيقول في عنوان مقاله: «إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت، وأود أن يعرف الناس مهمتي في نصرة الدين وخدمة البلاد، وأن أجد من كل إنسان معونة ومناصرة بحسب ما يستطيع مالياً وبفكره وقلمه ومجهوده الشخصي أياً كان ذلك المجهود، والمرء قليل بنفسه وكثير بأعوانه، وللإصلاح متطلبات كثيرة، والمجتمع الذي نعيش فيه كثير الجروح مهلهل الملابس، ونحن فيه كمثل ما قيل: كلما داويت جرحاً سال جرح. وأود لو (يهدم) هذا البناء ويقام لنا صرح متين من الحضارة أساسه العلم والقوة والإخلاص في العمل وجدراؤه الدين والمعرفة والوطنية الصادقة والأخذ بأسباب المدنية حتى نسعد في حياتنا ونتخلص من الجهل الذي لازمنا قروناً طويلة وأبعدنا عن معزوفة وسائل العيش ومعالجة الأمراض».

وفي جريدة صوت اليمن وهي جريدة أسبوعية كتب الشيخ مقالاً أدبياً بعنوان: «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم بأن لهم الجنة، يقاتلون في سبيل الله» فيقول: «وحيث كانت الجنة تحت ظلال السيوف فيما مضى فهي اليوم تحت شظايا القنابل وعجلات الدبابات وأفواه المدافع وأنقاض البيوت والعمران المهدمة

بأيدي الطغاة الظالمين وأعداء الفضيلة والإنسانية والأديان والقوانين» ثم مضى يقول: «... وما كان آباؤنا الذين ثلث بهم العروش وحلت لهم التيجان إلا رجالاً استعذبوا الموت في سبيل الشرف واستحلوا مرارة القتل في نصرة الدين الذي يجعل الناس كلهم عبيداً للذي خلقهم جميعاً من التراب ورزقهم من طيبات ما تخرج الأرض حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا».

لقد اصطبغ أدب البيهاني بانعكاسات المرحلة التي رأى فيها التخلي عن الضوابط واندفاع الجيل المشتت نحو الحضارة والحياة على ردم من إضاعة القيم وإسالة الدماء وانتهاك الأعراض، فوجه قلمه للعلماء والدعاة كي ينهضوا في ترتيب المجتمع وإصلاحه، فهذا هو يقول: «لا تقتصروا في واجبكم وتقولوا: لقد فسد الزمان، وذهب الخير من الناس، فلا مجيب إذا دعى، فعليكم أيها العلماء أن تعلموا أن الله فرض عليكم التذكير والوعظ والإرشاد، ولم يوجب هداية الناس وأن يقبلوا حكما قيل لهم، فالتسكوت على المنكر أمر لعنت عليه بنو إسرائيل من قبل فإنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه، ولم يظهر نفع العلماء وبيان أثرهم في الحياة الاجتماعية إلا بتعاونهم وتكاتفهم على الحق ومناصره الدين وإن تنازعتهم في شيء فردوه إلى الله ورسوله، ولينصرن الله من ينصره ورسله بالغيب».

الشيخ البيهاني مفكراً

مع ما يتمتع به شيخنا البيهاني من غزارة العلم والمعرفة والاطلاع الواسع في علوم الكتاب والسنة وفي التاريخ والفقه والحديث والتفسير وغيرها، فهو أيضاً صاحب فكر ثاقب ورؤى فذة تشير إلى قوة إدراك البيهاني وقراءته الماضي والحاضر بوعي مستقبلي واضح من غير إفراط ولا تفريط.

فهو أولاً قد سعى جهده في إنشاء الجمعية الإسلامية للتربية والتعليم لتكون نواة المعهد العلمي الإسلامي وهذا المشروع بحد ذاته يبرز عبقرية الرجل فكراً وأنه يضع القوس في يد باريها، فالمعهد العلمي مشروع كبير ولا بد له من عقل محيط بالأمر ومعلمين وإداريين يتناسبون مع عظمة الفكرة الكبرى.

كما برز تفكيره الصائب في إعداد المنهج التعليمي للمعهد حيث حرص على أن يكون منهجاً حاوياً لمهمات العلوم الشرعية والعلوم التجريبية الوضعية مما تلا ذلك ببعض الدول العربية كمصر والأردن.

أنشأ جمعية البيحاني الخيرية للتربية والتعليم، وجعلها مرجعية المهمات القائمة بأمر نشاط المعهد وطلابه ومدرسيه، وتكونت هذه الجمعية عام 1995م من التالية أسماؤهم:

- 1- الشيخ عبد الرحمن بازعة رئيساً.
- 2- الشيخ حسين باشنفر نائباً.
- 3- الشيخ سالم عمر البابكري أميناً عاماً.
- 4- الأستاذ نبيل علي النقيب أميناً عاماً مساعداً.
- 5- الأستاذ عبد الحافظ عبده الفقيه مسئولاً تعليمياً.
- 6- الأستاذ عبد الله صالح النجار مسئولاً إعلامياً.
- 7- الأستاذ محمد ياسين أنعم مسئولاً مالياً.
- 8- الأستاذ أحمد الجفري مسئولاً للعلاقات.
- 9- الأستاذ هادي الزبيدي عضواً.
- 10- الأستاذ سعيد بن علي عضواً.

وكانت هذه الجمعية خير عون للشيخ البيحاني في حياته كما بقيت مهماتها من بعده كحسنة وصدقة جارية يجري لها فضلها وحسنات أعمالها. كما نجح معهده العلمي في إنجاح أداء رسالته التي أسس من أجلها وبدأت ثمرته والشيخ البيحاني مازال حياً، بل وبرز تميز الطلاب الذين تخرجوا منه عن طلاب المدارس الحكومية آنذاك.

كما أعد البيحاني بالتعاون مع العديد من الجهات مكتبة علمية حافلة بالمصنفات والمراجع والكتب المتنوعة جعلها عين القاصد وبلغة الباحث وظلت مكتبة المعهد العلمي صرحاً من صروح المعرفة حتى توقف عمل المعهد في العهد الشيوعي، وقد تيددت هذه المكتبة فيما بعد إلا ما وقع على أيدي بعض العلماء والشخصيات الذين عهد إليهم في عهد الوحدة إعادة فهرسة المكتبة وتصنيفها، وقد حفظوا ما بقي من الكتب والمراجع، وأعيد افتتاحها لطلاب المعهد والدراسات العليا في مارس 2005م.

ومع عودة المعهد اليوم للعمل والدراسة إلا أنه لم يكن بذلك المعهد الذي بذل فيه البيحاني جهده ووقته، وقد قال فيه:

ولكن معهدي وله حياتي بذلت ما جمعت من الحلال
فهل يا معهد الإسلام تبقى وهل ستعود أيام خوال

نعم ستعود والدنيا بخير وأمرك نافذ يا ذا الجلال

ومن ثاقب تفكير الشيخ البيحاني توازنه واعتداله مع مخالفه من أبناء عدن وغيرها، وخاصة في الجانب الديني الذي كان البيحاني فيه غير مبال للعادات والتقاليد التي يألّفها المتصوفة، وفي هذا المجال كانت له جولات وصولات في نقد الكثير من العادات والمفاهيم السائدة، وخاصة في العقائد وما يقع فيه العوام من الإفراط أو ما يقع فيه المثقفون وحملة الأقلام من التضريط، وقد جمع كتابه المعروف (كيف تعبد الله) نبذاً من أفكاره ومفاهيمه التي نشرها ودافع عنها، وقد استفاد البعض من هذه الأفكار وأشاع على البيحاني جملة من الأقاويل والشائعات، وخاصة حول ما ورد في كتابه (عبادة ودين).

وقد دخل هذه المعركة بعض العلماء الأجلاء وشنعوا النكير على البيحاني وكتابته وصنفوا جملة من الرسائل في الرد عليه ورد هو عليهم بكتيب صغير سماه (زبعة في قارورة)، نافح فيه عن عقيدته ومواقفه وعرض فيها بالمعترضين عليه بأسلوب لطيف وهادئ، وبين للجميع الخطأ الذي حصل من الطباعة في الموضوع، واعتذر للجميع عما بدر من كتابه عبادة ودين، ولكنه لام المعترضين الذين أجهفوا في حقه ولم ينصفوه.

ومن تفكير البيحاني الرصين وطنيته الصحيحة ومواقفه المتميزة ضد الاستعمار، وشارك العديد من الأحرار والثوار في مقاومة المستعمر ووظف نادي الإصلاح العربي الإسلامي لهذا الغرض السامي، مستفيداً من موقع النادي في قلوب المثقفين والحكماء ومن قدراته العلمية والفكرية التي اخترق بها عقول العديد من حملة الأقلام ورجالات الدعوة والإسلام، مما جعل الجهلة الاستعمارية تركز على النادي وعلى أنشطته وتضايق الشيخ البيحاني في بعض توجهاته وأفكاره، بل ومنع من الخطابة في المسجد عدة مرات.

ولما حصل الاستقلال وجاء عهد الحرية كان له الدور الكبير في تخفيض حدة التوتر بين الثوار والتدخل المباشر في حفظ دماء المتصارعين على امتلاك قرار السلطة بعد خروج الاستعمار، وخاصة من مجموعات الجبهة القومية وجبهة التحرير التي طالت مواجهة بعضهما بعضاً داخل مدينة عدن والشيخ والمنصورة. كما كان الدور الشجاع أمام مجموعات التطرف السياسي الماركسيين بعيد استيلائهم على السلطة وخروجهم المكشوف عن شريعة الإسلام بالدعوة

الشيخ العلامة البيهاني شاعراً وأديباً ومفكراً أبوبكر العذني بن علي المشهور

الصريحة إلى الأفكار الشيوعية وتبنيها رسمياً في الواقع السياسي والتعليمي والاقتصادي.

وقد استطاع البيهاني ومن يواليه من العلماء والمثقفين رفع مذكرة خاصة من خلال المركز الثقافي لعلماء جنوب اليمن آنذاك في مطلع ديسمبر 1970م تدعو الحكومة الوطنية إلى تحقيق العديد من المطالب الشعبية، كتعزيز هوية الشعب، وتصفية الموروثات الاستعمارية، وتحقيق العدل الاجتماعي، وإقامة نظام وطني إسلامي.

وقد رفعت المذكرة لرئاسة الدولة ووعد في النظر فيها ولكن لم يظهر بعد ذلك حولها أي بيان، إلا أن الجهات الرسمية بادرت بعد برهة من الوقت بإغلاق المعهد رسمياً في 16/5/1971م ثم قرر تأميمه والاستيلاء عليه، وحول إلى مدرسة مختلطة لتعليم المعلمين والمعلمات، ثم حول إلى وزارة للداخلية، وذهبت جهود البيهاني في إعادة معهده إلى موقعه الصحيح في مهب الريح، وفي هذا يقول:

بغت الحكومات على أهلها وجعلت الأذئاب فوق الرؤوس
فإن تكن هكذا أوضاعنا فالموت والله نجاة في النفوس

ولم ير الشيخ البيهاني فائدة تذكر من بقاءه في محيط عدن، وقد تعرض فيها للتهديد بالقتل والخطف، ولم يسعه إلا مغادرة عدن إلى تعز عام 1389هـ الموافق 1971م وفي هذا يقول:

لا يخرج الناس عن أوطانهم عبثاً ولا يسيرون من أرض بها خلقوا
إلا إذا ضاقت الأرزاق عندهم فإن أوطانهم من حيثما رزقوا
والحر لا يستطيع الضيم محمله من قومه فيراضيهما إذا حنقوا
والناس ليسوا سواء في طبائعهم وإن يوحدتهم الإسلام يفترقوا

وفي تعز أعاد الشيخ البيهاني دوره العلمي والأدبي والتف الناس حوله للاستفادة، ولم يزل كذلك حتى عن له الحج عام 1391هـ فسافر لأداء مناسك الحج والتقى هناك بالعديد من العلماء ورجال الفكر والأدب والثقافة، وبعد ذلك عاد إلى تعز، وبعد وصوله بيوم واحد انتقل إلى جواربه ليلة الجمعة 24 من ذي الحجة 1391هـ الموافق 1972/2/10، ودفن بتعز بجوار جامع المظفر.

ندوة الشيخ العلامة محمد بن سالم البيهاني - جامعة عدن من 30 - 31 ديسمبر 2008 177

الشيخ العلامة البيهاني شاعراً وأديباً ومفكراً أبوبكر العدني بن علي المشهور

وقد شيعته الجموع الغضيرة ونعته الصحف والإعلام، وأقيمت من أجله حفلات التأبين، وسمعت القصائد والمراثي والكلمات في كثير من البلاد ومنها مدينة عدن المدينة التي حفظت له الود وما زالت تذكره وتذكره، وفاء بحقه وهو العاشق الولهان فيها، وفيها يقول:

أحن إليك يا بلد المعالي ومالي لا أحن وألف مالي
أحن إليك والأنفاس حرى ونار الحب تطفأ بالوصال
وأسأل عنك زواري جميعاً وما يشفي الجواب عن السؤال
وفي عدن العزيزة كل شيء يعز علي من أهل ومال
ولبي في الأرض إخوان أعزاً كرام في الجنوب وفي الشمال

والقصيدة طويلة جداً استعرض فيها الحاضر والمستقبل، ورحم الله الشيخ البيهاني وأحيا مآثره فينا بإذنه تعالى، أمين.

وكفى الشيخ البيهاني شرفاً وقدرًا أن نبش قبره خلال إصلاحات مسجد المظفر، قد أظهر للخاص والعام سلامة خاتم الشيخ حيث وجد طرياً في لحدّه كأنما وضع من يومه، كما روت ذلك بعض الصحف المحلية.

المراجع:

- 1- أشعة الأنوار، للبيهاني.
- 2- قبسات النور، لأبي بكر العدني بن علي المشهور.
- 3- بديع المعاني، د. عبد العزيز عبد المجيد.
- 4- هداية الأخيار، السيد حسين بن محمد الهدار.